بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ ﴾ .

« صدق الله العظيم »

[سورة إبراهيم : الآية ٣١]

فى هذا المقال ومايليه نتحدث عن عبادات الإسلام : فضائلها ومراميها ونواحيها الحضارية ، فإن هذه العبادات جميعاً تنشىء بين العبد وخالقه علاقة مباشرة تنفع العبد أكثر ماتنفع ، وترفع قدره وتفتح أمامه آفاقاً واسعة للخير والأمل .

وسنبدأ هذه المرة بالكلام عن الصلاة والزكاة فنلاحظ أنهما تردان فى الغالب متلازمتين ، فإذا ذكرت الصلاة جاء معها ذكر الزكاة لحكمة رفيعة أرادها الخالق فإن الصلاة حق الله على عباده ، والزكاة حق المؤمن على أخيه المؤمن ، والله سبحانه يربط بين حقه جل وعلا وحق العباد ، حتى يشعر الإنسان أن الإسلام فى بعض معانيه علاقة شاملة بين المؤمنين فى جملتهم وتضعهم على صلة دائمة ، فالله سبحانه خالقهم ، والصلوات المفردة تربط بين الإنسان وربه ، وصلوات الجماعات تربط الأمة كلها إلى خالقها ، وتوقف أفرادها صفوفاً متراصة متساوية تخاطب ربها ، وتعلن إليه خضوعها ، وتسأله الخير والبركة ، والإمام هنا لا يقوم

بـدور القس أو الـوسيط وإنما هـو ضـابط لـوحـدة المسلمين فى الصـلاة ، لأن الإسلام عندمـا حلت بركاته على الخلق أراد أن يجمعهم فى وحـدة إيمانية ، وهى روحية وشكلية معاً ، فنحن نصلى على نسق واحد حدده رسـول الله ﷺ وقال : « صلـوا كما رأيتمـونى أصلى » بل إن الله سبحـانـه وتعـالى يـربط بين التنظيم العسكرى لجماعـة المؤمنين وإعدادهم الروحى ، فهـو يرينا فى آيات كـريمة من سورة المائدة كيف نصلى صلاة الخوف ، لأن إعداد الأمة للجهاد كان من مرادات الله من وراء نعمة الإسلام .

فإن أمة الإسلام فى تقديره لابد أن تكون أمة مجاهدة ، وكل مسلم قادر على حمل السلاح ينبغى أن يتأهل للحرب ويقوم بواجب الدفاع عن الأمة ويشارك فى إبلاغ كلمة الحق إلى ملايين الخلق ممـن ينتظرونها ، وخلال السنوات العشر التى قضاها رسول الله عامـلاً فى المدينة كان تحويل الأمة إلى جيش مجاهد فى سبيل الله من أوليات غايـاته ، وهو لم يقصد من وراء الغـزوات النيف والثمانين التى قادها أو أرسلها لم يقصد إلى الغزو أو الغلب أو الغنيمة بقـدر ماقصد إلى فتح المسالك للإسلام إلى بلاد الناس وقلوب الناس ، وهو لم يقصد قط إلى إنشاء جماعة صغيرة من المحاربين المدربين يقومون بواجب الجهـاد وبقية الأمة قعود ، لأن ذلك كان من شأنـه أن ينشىء أقلية عسكـرية قـويـة منفصلة أو متميـزة عن بقية الأمـة ، وذلك كان يؤدى من تلقاء نفسـه إلى سيادة الأقوياء على المستضعفين داخل أمة الإسلام ، وهـذا يتنافى مع روح الإسـلام ولا يتفق بحال مع روح البـذل والعطاء والجهاد التى ينبغى أن تعم أمة المؤمنين وتميزهـا عن غيرها من الأمم ، وإنما قصد رسول الله إلى تحويل الأمة إلى أمـة مقاتلة ، ومن النتائج البـاهرة التى حققها قبل وفاته أنه بمواصلته المستمرة للجهـاد وحرصه على أن يشارك الناس كلهم فيه أنه جعل أمة الإسلام كلها أمة جيشاً أو جيشاً أمة .

وآتيك بآيات صلاة الخوف لكى تتبين الـربط الدقيق بين الصلاة والجهاد

وهذه الآيـات حافلة بالحكم والمعـانى الإسلامية ، فلنقـرأها على مهل ، فإن للقرآن أعماقـاً لا يدركها إلا القـارىء المتمهل المتدبر ، والإسـلام كما نعرف دين القلوب ودين العقول جميعاً .

﴿ وإذا ضَربْتُم فِي الأرضِ فلَيْس عَليكُم جُناحٌ أن تقصُروا من الصَّلاةِ إن خِفتُمْ أن يفتِنكُمُ الذِين كفرُوا إِن الكَـافِرين كانوا لكُـم عــدُواً مُبِيناً ﴾

[النساء ٤/ ١٠١] .

وهنا نلاحظ أن الله لم يحل للمؤمنين أن يرجئـوا الصلاة عند خوف العدو ، لأن إرجاءها معناه أنها عند الله شىء آخر غير الجهاد ، فهى عنده سبحانه وتعالى جهاد من نـوع آخر ، وإنما الذى شرع للمـؤمنين فى هذه الحالة هـو أن يقصروها فحسب ويصلـوهـا فى وجـه العـدو وفى ميـدان الحرب وسـاعـة الخوف ، وأول ماصليت صـلاة الخوف كان فى غزوة ذات الـرقاع فى المحـرم سنة ٥ هـ / يـونيو ٦٢٦ م ، وهى إحدى الغزوات التى قادها ﷺ أو السرايا التى بعثها على أعراب نجد ممن غدروا بالمسلمين فى مأساتى بئـر معونة والرُّجَيْع ، وكان أولئك الأعراب أو الأعاريب قـد اجتاحهم خوف مـن قوة أمة المدينـة ، فقد تعودوا أن يفـرضوا أنفسهم على الجماعات المستقرة فى شمال الحجاز ، أو على طرق التجارة الصـادرة إلى العراق وجنوبى الشام ، فجاءت أمة المدينة وفرضت نفسها على شمال الحجاز كله ، وانتدبت نفسهـا لتحرير العباد من سلطان أولئك البـدو وفرض الإتاوات على الناس وإرهابهم بـالغلظة والقسوة وأساليب الغـارة والسلب ، فدعتهم أمة الإسـلام إلى دخول الإسـلام ، ورفضت أن تـؤدى لهم إتـاوة أو خفـارة ، وكانـوا يأملون أن تستطيع مكة قهر أمة المدينة فى غزوة أحد ، ولكن أمة المدينة خرجت من محنة أحد قوية ظافرة ، وأبو سفيان زعيمها أحجم عن لقـاء المسـلمين فى « بدر الموعـد » كما وعد ، وأقام المسلمون سـوق بدر عشرة أيام باع النـاس فيها

واشتروا فى أمان أمة المدينة .

وهـذا الغيظ من أمـة المدينـة كـان وراء غدرتى بئـر معـونـة والـرجيع التى احتملت وزرهـا بعض قبائل عـاليـة نجد من لحيـان ومحارب وعـامر ، فخـرج الرسول إلى ذات الرقاع وسط منازل هذه القبائل المتمردة بل فى منازل أقواها وهى أنمار وثعلبة ، فتهارب رجـالها أمام قوات المسلمين واختفوا يـرقبون المسلمين من وراء آكـام الرمـال ، وإن قلـوبهم لترعد وهم يـرون المسلمين يستـاقون أنعـامهم ويأسرون من قـدروا عليه من أهلهم ، وهنـا وتحت بصر أولئك الجامدين الـذين ذلوا لعزة الإسلام يقوم المسلمون بصلاة الخوف وسط ميدان القتال ويصلونها على النحو الذى أمرهم به الله سبحانه فيما يلى :

﴿ وإذا كُنتَ فِيهِمْ فـاقمتَ لهُم الصـَلاةَ فلتقم طـائفـة منهُم معكَ وليأخُذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فَليكُونُوا من ورائِكُم ولتاتِ طائِفةٌ أخرى لم يصلوا فليصلُـوا معكَ وليأخُذُوا حِذرهم وأسلحتهم . ودَّ الـذين كفرُوا لـو تغفلُون عن أسلحتكُم وأمتِعتكمْ فيميلـونَ عليكُم ميلةً واحـدةً . ولا جُنـاح عليكُم إن كـان بكم أذَى مِن مطرٍ أو كُنتم مـرضَى أَنْ تَضَعُـوا أَسْلِحَتكُمْ وخُذوا حِذْرَكمْ إن الله أعد للكافرِين عذاباً مُهيناً ﴾ .

[النساء ٤/ ١٠٢]

وهكذا أدى المسلمون صلاتهم فى نحـر العدو وهو يتأملهم فى ذعر الخائف ورعب المتلصص الذى يخشى أن يـدركه العقاب ، وقـد تركت هذه الصـلاة أثراً عميقاً جداً فى نفـوس أولئك المعربدين ، فقد رأوا أنـه لا قبل لهم بأمة الله ، وإن أوان العربدة وإرهـاب الناس ونهبهم قد انتهى ، ولم يعد أمـامهم إلا الدخول فى أمة الإسلام والإيمان والنظام والعزة أو الفناء ، هنا وعلى ضوء هذا الربط التاريخى يتجلى لك معنى جـديـداً من معـانـى الصـلاة ، فهى ليست معـرضـاً لـلإيمان

فحسب بل هى معرض للقوة ، وهى بهيئتها ونظامها وترتيبها مظهر من مظاهر عزة المؤمنين .

وقد درجنا على أن نفصل فى دراستنا بين العقيدة والشريعة ، مع أن الإسلام كل واحد فى ذاته ، فعقيدته أخلاق وحضارة كما رأينا فى كلامنا عن التوحيد ومعانيه الحضارية ، والشريعة (وتدخل فيها العبادات) أخلاق وحضارة ، والصلاة التى نحن بصددها هى رأس العبادات ، ولكنك لا تستطيع النظر إليها على أنها مجرد فرض مقرر على المسلم ، وأن المسلم يقوم بها لأن الله سبحانه أمر بها ورسول الله ﷺ نظمها وقننها ، وتطيل كتب الفقه الكلام عن تفاصيل إقامة الصلاة ، حتى إن باب الصلاة فى كتاب مثل موطأ مالك يقع فى مجلد كامل ، ومسند أحمد عندما يورد أحاديث الصلاة يسترسل فى الكلام والروايات والأحاديث والآثار حتى يحسب الإنسان أنه لن يفرغ ، وهذا كله عظيم ولكنه لا ينبغى أن يشغلنا عن الحكمة الكبرى من فرض الصلاة ، وهى أنها تربية وتهذيب وأخلاق وتكوين لشخصية المسلم ولجماعة المسلمين ، وعندما أرى المسلمين يهرعون لأداء الصلاة فى وقتها خطفاً كأنها واجب يتخلص منه الإنسان لينساه يتملكنى العجب ، ويقع فى خاطرى أننا ينبغى أن نعيد النظر فى الصلاة لكى يزداد استمتاعنا بها وانتفاعنا منها .

وأنا عندما أنهض للصلاة أشعر بفرحة ، لأننى سأقف لحظات بين يدى خالق الكون أدعوه وأناجيه لأن الصلاة فى أصلها الدعاء أو طلب الرحمة وما قضيت فريضة الصلاة مرة إلا أحسست بعد أن أسلم منها أننى أحسن حالاً بعدها ، وقد تعجبت مرة وأنا فى الحرم النبوى من رجل واقف يصلى فى ركن المسجد وقيل لى : إنه يصلى كل يوم مائة ركعة بين الظهر والعصر ، ومائة أخرى بعد صلاة العشاء ، وقلت فى نفسى كيف يعد الركعات المائة ، وهلى هو يصلى أو يحسب ؟ هل هو مؤمن أو عداد ؟ ومثل هذا الرجل لم يقرأ قول الله تعالى :

﴿ ليس البرَّ أن تُولوا وجُوهكُم قِبل المشرِق والمغرِب ولكنَّ البرَّ من آمن بالله واليوم الآخرِ والملائِكة والكِتاب والنَبيين . وآتى المال على حُبه ذوِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيلِ والسائِلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فِي البأساءِ والضراءِ وحِين البأسِ أولئك الذين صدقُوا وأولئك هُم المتقون ﴾

[البقرة ٢/ ١٧٧].

فهنا نجد الصلاة فى إطار عام إنسانى أخلاقى شامل يصور لنا لباب الإسلام عقيدة وشريعة ومكارم أخلاق مجموعة بعضها إلى بعض على نحو تحس معه أن صلاتك جزء من أخلاقيات وسلوكيات شاملة لا يصح إسلامك على الوجه الأكمل بدونها ، فأنت تصلى لأنك تزكى ، وتزكى لأنك تصلى ، لأن العبادة الواجبة عليك لله سبحانه وتعالى لا تتم إلا إذا قمت بالعبادة الواجبة عليك نحو أخيك المسلم المحتاج وهى الزكاة ، ثم إن البر ـ وهو الوفاء بعهدك مع الله ـ لا يتم بمجرد توجهك فى الصلاة نحو المشرق أو المغرب ، وإنما هذا الوفاء لا يكتمل إلا إذا قام على أساس متين من الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ـ والمراد به هنا كل كتب الله الصحيحة ـ والنبيين ، وهذا الإيمان الشامل بالله وكتبه ورسله لا يكتمل إلا إذا تخلقت بخلق إسلامى إنسانى صحيح ، فأعطيت المال على حبه ـ أى دون نظر إلا إلى رضا الله سبحانه ـ وكان عطاؤك شاملاً لكل المحتاجين من حولك على قدر طاقتك ، والعطاء هنا إسلامى أى أنه لا يقتصر على المحتاجين بل يُشمل ابن السبيل ، وهو الأخ المسلم الضاربِ فى الأرض منقطعاً عن أهله وناسه ، فأصبح مسئولية أمة الإسلام كلها ، لأن الإسلام دين ووطن ، ولابد كذلك من أن تفكر فى أسارى المسلمين والذين يقعون منهم فى ضيق وشدة ، والأسير فى الإسلام لا يقتصر على من يقع فى أسر العدو بل يشمل كل من وقع فى أسر المرض أو الحاجة أو الهموم ، وقد

سمع الصوفى المشهور أحمد الرفاعى عن امرأة ركبتها الهموم بسبب ابن لها اغتاله اللصوص على الطريق ولم يكن لها غيره ، فنهض إليها مع نفر من أصحابه ليواسوها بالمال والصحبة ، وأوصى بها واحداً من أتباعه وقال له : لا تنس الأسيرة ، لقد أوصانا الله سبحانه بها عندما أمرنا بأن ننفق المال فى الرقاب ، فكوا رقبة الثاكلة الأسيرة .

بل إن البر لن يتم بذلك كله فلابد من الوفاء بالعهود ، وقد قال الإمام الغزالى فى الإحياء : عجبت ممن ينقض العهد ويعد نفسه فى أهل التقوى ، بل إن البر لا يكتمل إلا بالصبر فى البأساء ، والإمام الجوينى يفسر البأساء هنا بأنها الصبر فى الجهاد فى سبيل الله ، لأن الله ذكر الصابرين فى البأساء هنا ثم فسره بقوله تعالى (وحين البأس) أى عند عدوان المشركين على دار الإسلام أو خروج المؤمنين للجهاد فى سبيل الله .

وهذه كلها أخلاقيات وسلوكيات إسلامية مترابطة يكمل بعضها بعضا ، والله سبحانه يختتم هذه الآية العظيمة بقوله ﴿ **أولئك الذين صَدقوُا وأولئك هُمُ المتقُونَ** ﴾ .

هنا ترى أن إقام الصلاة هو فى الواقع جزء من واجبات ومطالب وخصال كثيرة جداً لا يكتمل إيمان المؤمن ولا يكون من الصادقين المتقين إلا بها جميعاً ، ولكن الصلاة تتميز من بين واجبات المسلم هنا بأنها العبادة التى تضعك بين يدى الله سبحانه وتعالى ، فتشعر أثناء قيامك بها بمكانك من الله ومكانك من الإسلام ، ولذلك فقد جعلها الله خمس صلوات موزعة على ساعات النهار من الفجر إلى الليل ، حتى يكون حضورك مع الله مستمرًا ، ويكون حضور الله سبحانه وتعالى فى قلبك جزءاً من كيانك .

وهذا هو جانب الجمال فى الصلاة فى الإسلام ، إنها تهب المصلى راحة نفسية

وترفع عن كاهله أعباء الحياة ، لأنه مادام مقيم الصلاة فهو لا يشعر أنه يقف وحده فى مواجهة الحياة ، فإن الله دائماً معه ، وإذا نزل به ضيق فإن الله معينه على الخلاص ، ولهذا يحتاج الانسان إلى الصبر مع الصلاة ، ولهذا يقول الله سبحانه :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذين آمنُوا استعينُوا بالصَّبرِ والصَّلاة إن الله مع الصَابِرين ﴾ [البقرة ٢/ ١٥٣] .

والصبر هنا ليس هو صبر الكسالى الذين يحسبون أن الصبر إنما هو التواكل وقعود الإنسان خاملاً حتى يأتى الفرج من عند الله ، وإنما هو صبر المؤمنين المتقين الذين يبذلون أقصى الجهد فى السعى والعمل ، ويتوكلون على الله بعد ذلك ، وكان هذا هو مذهب رسول الله ببذل أقصى وسعه فى أداء رسالته ويستعين بالصبر والصلاة ، وكان يجد فى الصلاة راحة نفسية ويسميها قرة عينه وأحياناً كان يستطيل الوقت بين الصلاتين ويشتاق إلى الوقوف بين يدى ربه فيقول : أغثنا بها يا بلال .

والصلاة من العبد دعاء إلى الله ، وصلاة الله سبحانه على العبد رحمة منه به :

﴿ وبشرِ الصَّابرِينَ . الذِين إِذا أصَابتهُم مصيبةٌ قالُوا إنَّا لله وإنا إليه راجعون ، أولَئِك عليهِم صلواتٌ مِن ربِهم ورحمة وأولئِك هم المهتدون ﴾. [البقرة ٢/ ١٥٥ ـ ١٥٧] .

وهذا من أجمل معانى الصلاة فى الإسلام ، والله سبحانه يؤكده فى آيات أخرى مثل قوله :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الذِين آمنوا اذكُروا الله ذِكراً كثِيراً ، وسبحُوهُ بُكرةً وأصيلاً ، هو الَّذِى يُصلِّ عليكُم وملائِكته ليخرِجكم من الظلماتِ إلى النور وكان

بالمؤمنين رحيماً . تحيتهم يوم يلقونه سلامٌ وأعد لهم أجراً كريماً ﴾.

[الأحزاب ٣٣/ ٤١ـ٤٤].

والمراد هنا ذكر الله فى الصلاة وخارجها، ونحن نرفع أقدار أنفسنا بالوقوف بين يدى الله ونستعين بالمولى جل وعلا ، وهو يشملنا بعطفه ويصلى علينا وملائكته ، وذلك جانب آخر من جوانب جمال الصلاة فى الإسلام ، فهى رابطة ولاء وإيمان ورحمة وسلام بين الإنسان وخالقه ، ونحن فى الحقيقة عندما نصلى لا نقوم بواجب نحو الله فحسب ، بل نقوم بواجب نحو نفوسنا . فنحن نتطهر بها ونعتز ونلتمس بها من الله قوة وعزماً ورشاداً .

ولهذا فنحن لا نقوم للصلاة إلا إذا كنا على طهارة ، وقد أمرنا بالوضوء عند كل صلاة ، إلا إذا كنا واثقين من أن وضوءنا لم ينقض ، وكان رسول الله على طهارة أبداً لأنه كان مع ربه دائماً ، وقد فصل الله سبحانه أمر الوضوء ، لأنه أراد أن يضيف إلى طهارة النفس قبل الصلاة طهارة البدن .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إذا قُمتمْ إلى الصَّلاة فاغسلُوا وُجُوهكُمْ وأيديكمْ إلى المرافِقِ وامْسحُوا بِرُءُوسكُمْ وأرجُلكُم إلى الكعْبَيْنِ وإنْ كُنتمْ جُنباً فاطَّهرُوا وإِن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكمْ من الغائِطِ أو لامستمُ النساء فَلَمْ تجِدُوا ماء فتيمموا صعِيداً طيباً فامْسَحُوا بوجوهكم وأيديكم منهُ ما يُريد الله لِيجعَل عليكُم مِن حرجٍ ولكن يريد ليطهركُمْ وليتمَّ نعمتَهُ عليكُم لعلكُم تشكُرُونَ ﴾ [المائدة ٥/ ٦].

وأنت ترى هنا أن الله ينص نصاً واضحاً على الطهارة مع الصلاة ، حتى تكون الصلاة طهارة ونظافة فى نفس الوقت ، وهو يفصل الأمر هنا لكيلا يستهين الناس بأمر النظافة والطهارة ، والنظافة كما نعرف مظهر من مظاهر الحضارة ، ومن عجب أننا مع كثرة تشدقنا بالدين لا نرعى جانب النظافة حق

رعايتـه ، وكأن علينا أن ننتظـر قروناً حتى يأتى أهل الغرب ويعلمـونا النظـافة وكيف تكون ، بل هـم الذين اخترعوا وسـائل جلب المياه إلى البيـوت ، وتنقيتها وتطهيرها وتيسير أمـور الحمامات ، ونحن مع ذلك لا نستحى ، وإلى يومنـا هذا مازال الكثير جداً من مسـاجدنا فى حاجـة إلى النظافة ، فى بلاد الغرب حيث لا تتطلب الصلاة نظافة أو طهارة لا تدخل الكنيسة إلا وجدتها آية فى النظافة .

وفى كل حى من أحيـاء المدن وفى كل قرية جمعيـة من الناس رجـالاً ونساء يهتمون بنظافة الكنيسة ، حتى المساجد الكبرى عنـدنا تجد لكل واحد منها فرقة من الخدم ومع ذلك فإنك تجد المسجـد فى حـاجـة إلى نظـافـة ، وإنما كل همنـا شقشقة اللسان ، وما أكثر المخادعين الذين يتمسكون بظاهر الدين دون لبابه ، وعرفت واحـداً من أولئك المنافقين إذا حـدث أن اضطرته الظـروف إلى لمس امرأة صدفة أسرع يتوضأ مع أن الله سبحانه لم يقل : ﴿ **إذ لمستم النساء** ﴾ بل ﴿ **إذا لامستم** ﴾ وفرق بين مجرد اللمس دون قصد والملامسـة التى تطول بعض الوقت وربما أثارت فى النفس شيئاً .

والصلاة صلاتان : صلاة المرء فى بيته أو **مفرداً** فى أى مكان ، وهى أداء الفرض مع ما لابد لذلك من خشوع وإحساس صادق بأن الإنسان مع ربه وبين يديه حتى يسلـم من صلاته ، **وصلاة الجماعة** ولها معان ووظـائف أخرى إلى جـانب فضائل الصـلاة التى نعرفهـا ، فهنا يجتمع المسلمـون بعضهم إلى بعض ليقيموا الصلاة حتى يشعروا بقوة الجماعة ويذكروا أنهم أعضاء فى الأمة الإسلامية الكبرى ، والإسلام ـ كما قلنـا فى فصول سابقة أمـة وجماعة وجيش ، ورسول الله ﷺ ربى أمتـه فى المدينـة فى الصلـوات وفى المغـازى ، ولهذا فنحـن نطـالب فى صلوات الجماعة بالتزام نظام يشبه نظام الجنود ، فنحن نصطف صفوفاً مستقيمة متجهة بـوجوهها وقلوبها نحـو الكعبة ، وهنا تأخذ الصـلاة معنى وحدة الهدف ووحدة الغـاية ، وهذه فضيلة ينفـرد بها الإسلام : إنه دين جماعـة ، ويد الله مع

الجماعة . ثم إننا نصلى خلف الإمام ، والإمام هنا رمز للقيادة ووحدة الأمة ، ونقف صامتين خاشعين ، ونتحرك حركة واحدة فى نية الصلاة والقيام والركوع والسجود .

وإمعاناً فى إشعارنا بروح الوحدة أثناء صلاة الجماعة قالت بعض المذاهب إن المصلى خلف الإمام يكتفى بقراءة الإمام وهو منصت ، حتى يكون المصلون جميعاً مع الإمام فى نفس الآيات . ولا ينبغى أن تنسينا صلاة الجماعة ماينبغى للصلاة من خشوع وصمت ، وهنا ينبغى أن ننبه إلى مجافاتنا لما ينبغى للصلاة الجامعة من خشوع ، فنحن نسمع قرآن الجمعة كأننا ننصت إلى مطرب ، ولا يكاد الشيخ يتلو آية حتى ينطلق نفر من الناس مستحسنين ، ويصل الأمر أحيانا إلى درجة تمس حرمة الصلاة ، وبعض المقرئين أنفسهم يدعون الناس إلى أن يصيحوا مستحسنين بإسرافهم فى التطريب مما يمس حرمة الصلاة ويخرج بنا عن خشوعها ، ولا تخلوا الصلاة فى المساجد من ثقلاء لا يزالون يصيحون : الله الله يفتح عليك ! وصلوا على حضرة النبى ! ووحدوه ! وكل ذلك خروج على ماينبغى للصلاة من خشوع وصمت وجلال ، وفى السنوات الأخيرة درجوا فى صلاة الجمع على أن يقولوا فى المذياع إن الصلاة يحضرها فلان الوزير وفلان المحافظ أو الموظف الكبير ، مع أن الناس جميعاً إذا دخلوا المسجد للصلاة انتفت عنهم صفاتهم الدنيوية والوظائفية ، ولم يعودوا إلا عبادًا لله يستوون مع غيرهم من عباد الله ، وحبذا لو أقلعنا عن هذه العادة التى يشعر الإنسان معها أن هؤلاء المسمين بالكبراء يشرفون المساجد بصلاتهم ، وماأظن أن واحداً منهم يريد ذلك .

وإذا كان الفن الإسلامى يعجبك فاذكر أن كل هذا الفن وما يتميز به من خصائص وشخصية فنية متميزة بين مدارس الفنون فى الدنيا إنما ولد فى المساجد هنا ولدت العمارة الإسلامية والزخارف الإسلامية التى تعتبر من أعاظم مدارس

الفن فى تاريخ الحضـارة الإنسانية ، وهذا باب واسع ألـف الناس فيه الكتب ، وهـذا على عظيم شأنه فى تـاريخ الحضـارة إن هو إلا ثمـرة جـانبية من ثمـرات الصـلاة ، وهى فى صميمهـا عبـادة وعمل وحضـارة شـأنها فى ذلك شأن كل عبادات الإسلام .

***